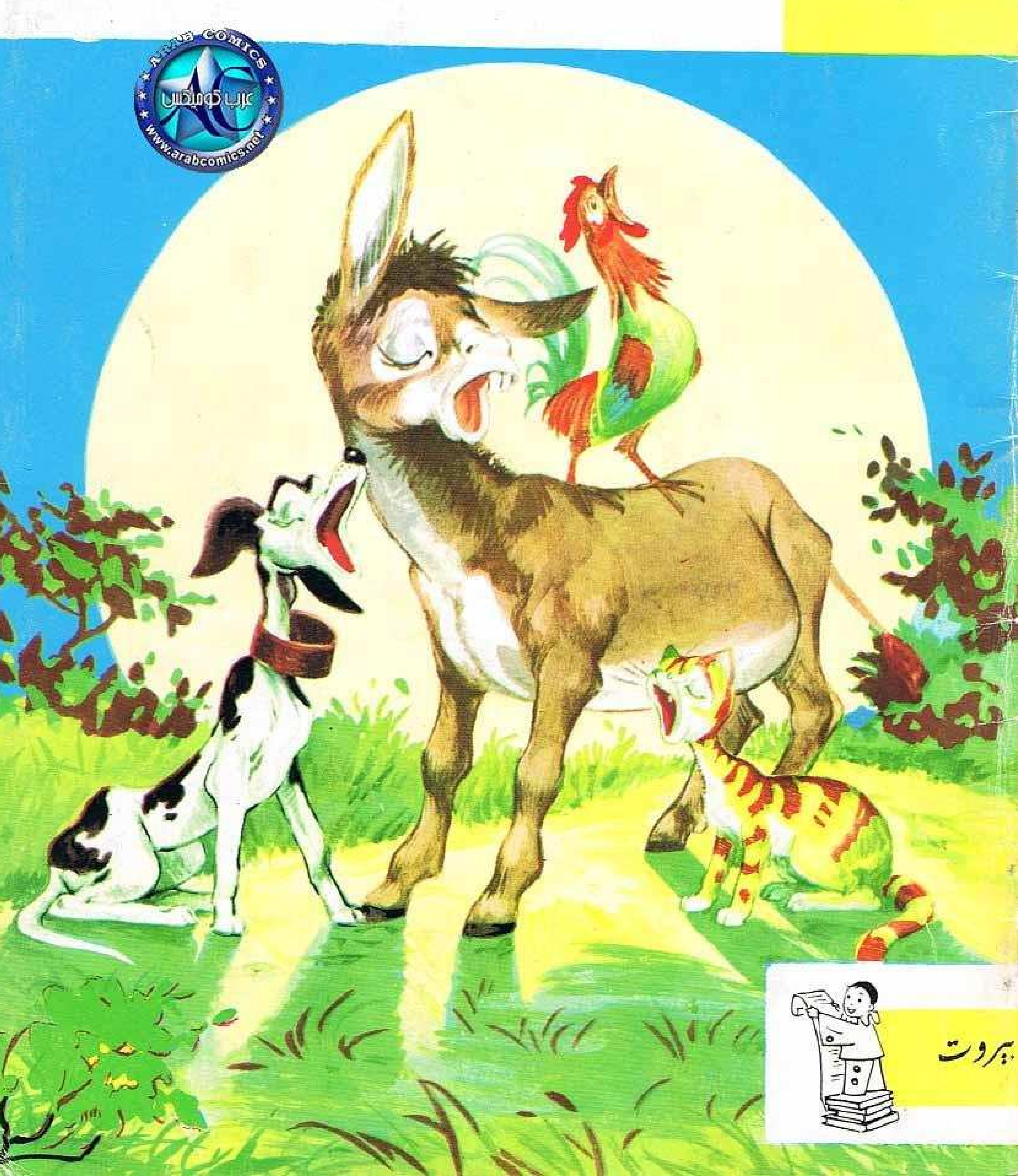
دار شهرزاد

انتصار الحمار



حكايات جدتي

انتصار الحمار



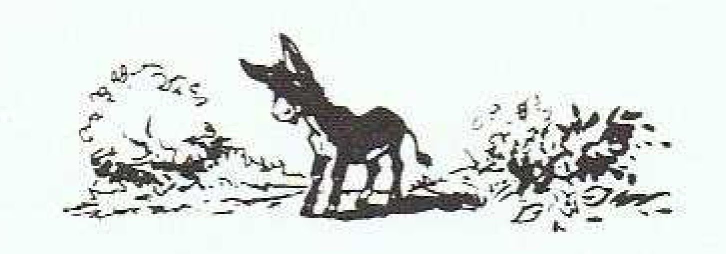
دار شهرزاد

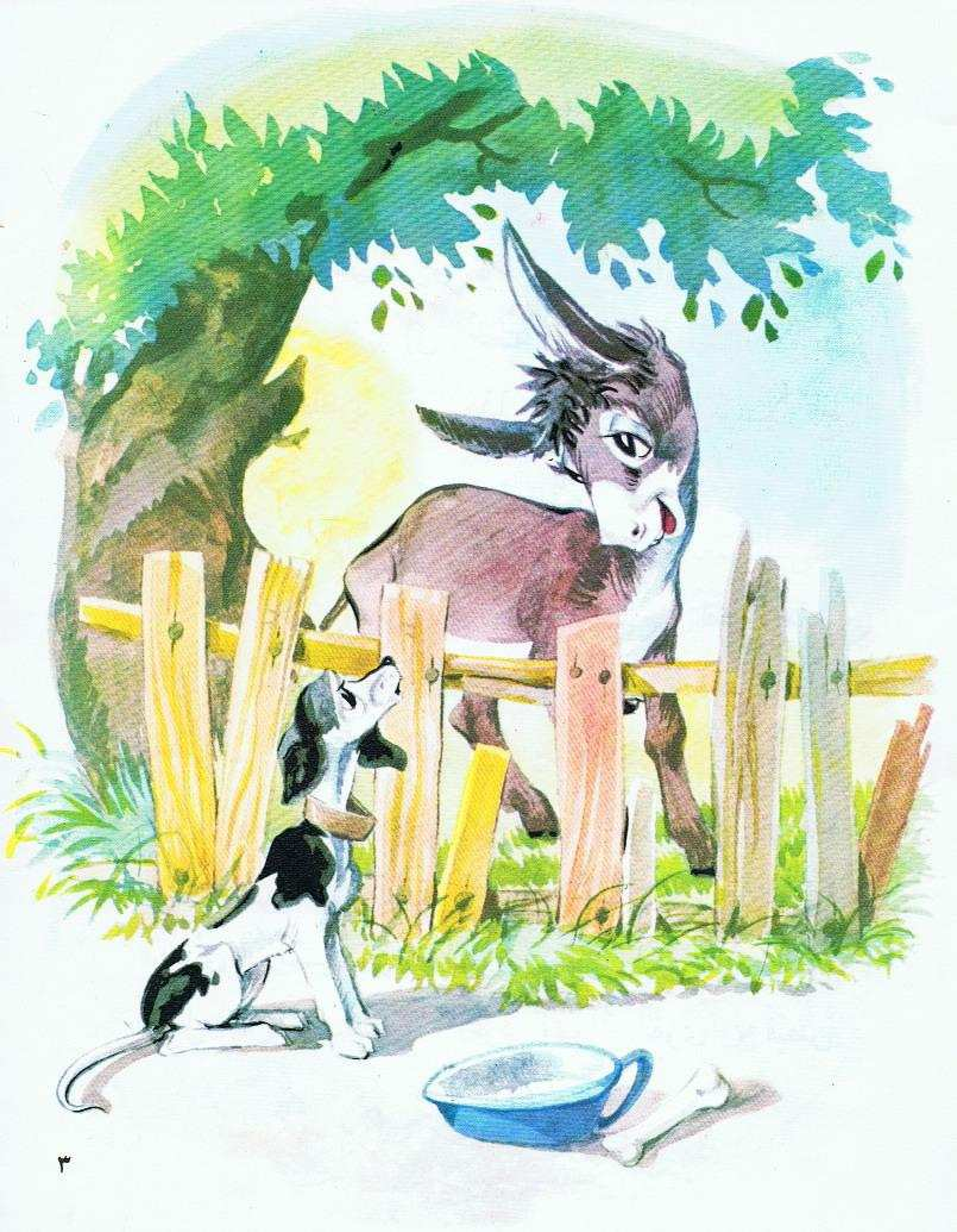
انتصار الحمار

حدَثَتْ هذهِ ٱلْقِصَّةُ في الزَّمنِ ٱلْقديمِ . خَرجَ ٱلحِمارُ يَوْماً مِنْ منْزلِ سَيِّدِهِ ولَمْ يَعُدْ . سارَ في ٱلْبراري وَٱلْحقولِ يأْكُلُ ٱلْعُشْبَ الطَّرِيَّ وَيَشْرَبُ مِنْ مِياهِ ٱلْجداوِلَ ، حتّى وَصَلَ ذاتَ يَوْمٍ إلى بُسْتانٍ كَبيرٍ كانَ في داخِلِهِ كَلْبٌ تَبْدو عَلَيْهِ أَماراتُ ٱلْبُؤْسِ وَٱلأَلَم .

تَقَدَّمَ ٱلحِمارُ مِنْهُ وَسَأَلَه :

— ما بِكَ يا صَديقي ٱلْمِسْكين ؟ أَراكَ مُطْرِقَ





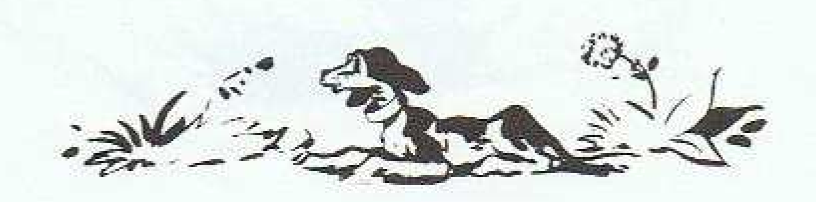
الرَّأسِ حزيناً ؟ فَأجابَ ٱلْكلْبُ :

— لَقَـدْ كَبِرَتْ سِنّي ، وَمَلأَت التَّجاعيدُ وَجْهي ، وَضعُفتْ هِمَّتي عَنْ تَلْبيَةِ أَوامِرِ سَيِّدي ، فَكَرِهَني ، حتّى إنّي سَمِعْتُهُ أَمسِ يَقولُ : لا بُدَّ لي مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْ هذا ٱلْكَلْبِ ٱلْبليدِ لِأَرْتاحَ مِنْ طَعامِهِ وَشَرابه .

فَتَنَهَّدَ ٱلْحِمارُ وَقال :

— ماذا يَفعَلُ ٱلْحُزْنُ يا صاحِبي ؟ لَقَدْ حَدَثَ لي مَعَ سَيِّدي ما حَدَثَ لَكَ ، فَقَدْ نَسِيَ فَضْلي بَعْدَ أَنْ أَفْنَيْتُ شَبابي في خِدْمَته .

كانَتْ لا تَكفيهِ سِلالُ ٱلْخُضارِ الَّتي يُحَمِّلُها عَلى ظَهْري كُلَّ يَوْمٍ ، بَلْ كانَ يَجْلِسُ فَوْقَها فَيأْمُرُني بالْمَسيرِ إلى السُّوقِ وَأَنا أَئِنُّ مِنْ ثِقْلِ ٱلْحِمْلِ . وَفي ٱلْمَساءِ أَعودُ مَنْهوكَ ٱلْقِوى ، فَيَضُنُّ



عَلَيَّ حتّى بِالْقليلِ مِنَ ٱلْعُشْبِ الطَّرِيِّ وَٱلْماءِ النَّظيف .
أَلَسْتَ تَراني قَدِ ٱبْتُليتُ بِسَيِّدٍ ناكِرٍ لِلْجَميلِ كَسَيِّدِكَ ؟ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقولُ ذاتَ يَوْمٍ : لا بُدَّ لي مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْ هذا ٱلْحَيْوانِ التَّعِسِ .. وَلٰكِنّي لَمْ أَنْتَظِرْهُ لِيُحَقِّقَ ما يُريدُ ، بَلْ هَرَبْتُ ذاتَ لَيْلَةٍ وَسِرْتُ هائِماً عَلى وَجْهي أَيّاماً وَأَنا سَعيدٌ حَتّى ٱلْتَقَيْتُ بِكَ .
ثُمَّ ٱقْتَرَبَ ٱلْحِمارُ مِنَ ٱلْكَلْبِ وَقالَ لَه :
ــ تَعالَ مَعي ، فَقَدْ نَسْتَطيعُ نَحْنُ ٱلاثْنَيْنِ ، أَنْ نَعْمَلَ عَمَلاً عَظيماً .
إِنْزَلَقَ ٱلْكَلْبُ مِنْ تَحْتِ سِياجِ ٱلْحَقْلِ وَلَحِقَ بِالْحِمارِ ، ثُمَّ سارا مَعاً في الطَّريقِ الطَّويلِ ، حَتّى إِذا تَعِبا وَجَلَسا بِجانِبِ جِدارٍ يَسْتَريحانِ ، رَأَيا هِرَّةً هَزيلَةً تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلأَعْشابِ وَهِيَ تَموءُ





مُواءً حَزيناً .

سَأَلَها ٱلْحِمار :

ـ ما بِكِ يا عَزيزَتي ؟

فَأَجابَتِ ٱلْهِرَّةُ :

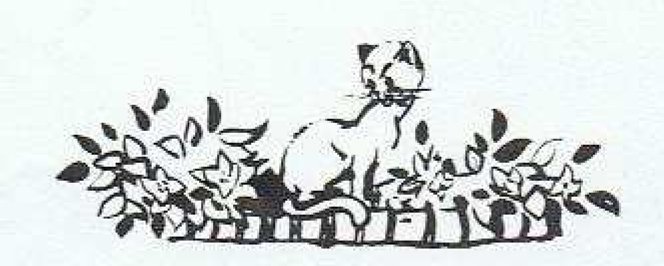
ـ لَقَدْ كَبِرْتُ في السِّنِّ وَعَجِزَتْ رِجْلايَ عَنِ الرَّكْضِ وَأَصابَ أُذُنَيَّ صَمَمٌ شَنيع ...

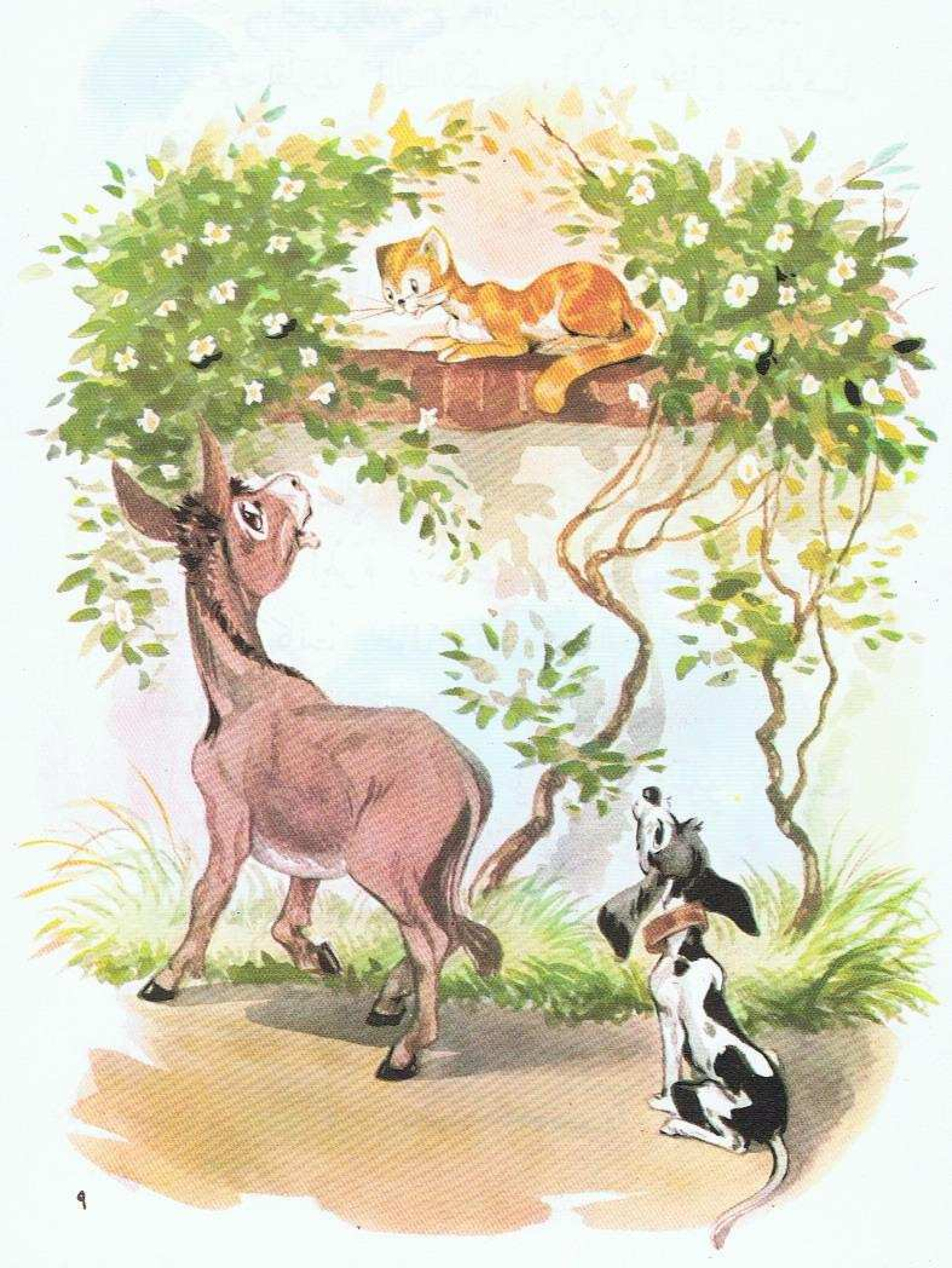
فَقاطَعَهـا ٱلْحِمارُ وَٱبْتِسامَةُ السُّخْرِيَةِ تَرْتَسِمُ عَلى وَجْهِهِ :

ـ وَإِذاً ... فَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكانِكِ ٱلْقِيامُ بِوَظائِفِكِ عَلى ٱلْوَجْهِ ٱلأَكْمَلِ فَقَرَّرَ سَيِّدُكِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْكِ بِطَلْقَةٍ مِنْ بُنْدُقِيَّتِه .

أَجابَتْهُ ٱلْقِطَّة :

ـ لا ... إِنَّها سَيِّدَتي ، تِلْكَ ٱلْمَرْأَةُ ، الشَّرِسَةُ ٱلْقاسِيَةُ ، الَّتي أَرادَتْ إِغْراقي في النَّهْرِ





لِتَتَخَلَّصَ مِنّي وَتَرْتاحَ مِنْ طَعامي وَشَرابي ...

ثُمَّ نَظَرَتْ إِلى ٱلْكَلْبِ وَٱلْحِمارِ نَظْرَةً مِلْؤُها الثِّقَةُ وَقالَتْ :

— مَنْ أَنْتُما ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتُما مُصيبَتي وَشَقائي ؟

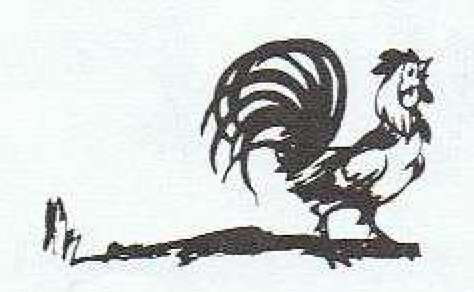
فَأَجابَها ٱلْحِمارُ :

— إِنَّ مَصائِبَنا مُتَشابِهَةٌ ، وَقَدْ قَرَّرْنا ٱلْهَرَبَ ، فَتَعالَيْ مَعَنا فَقَدْ نَسْتَطيعُ ، نَحْنُ الثَّلاثَةَ ، أَنْ نَعْمَلَ عَمَلاً عَظيماً .

قَفَزَتِ ٱلْهِرَّةُ وَسارَتْ إِلى جانِبِهِما في الطَّريقِ الطَّويلِ وَكانَتْ طولَ الطَّريقِ تَحْكي لِصَديقَيْها ٱلْجَديدَيْنِ مُغامَراتِها في صَيْدِ ٱلْفِئْرانِ .

وَفَجْأَةً وَقَعَ نَظَرُهُمْ عَلى ديكٍ عَجوزٍ ، يَقِفُ عَلى أُرومَةِ شَجَرَةٍ يابِسَةٍ ، وَهُوَ يُحَرِّكُ جَناحَيْهِ بِصُعوبَةٍ .

أَلْقى عَلَيْهِ ٱلْحِمارُ نَظْرَةً فاحِصَةً ثُمَّ قالَ :



ـ إنْ صَدَقَ ظَنّي فَهذا صَديقٌ رابعٌ لنا ، إنَّ جسْمَهُ ٱلْهزيلَ ، وَلَحمَهُ الظَّاهِرَ مِنْ خِلالِ ريشِهِ يَحْكي لنا قِصَّةً مِنْ قِصَصِ نُكْرانِ ٱلْجميلْ .

إقْتَرَبَ الرِّفاقُ الثَّلاثَةُ مِنَ الديكِ ، فَحَيّاهُ ٱلحِمارُ بِاسْمِ ٱلْجميع :

ـ يا أَخي الدّيكَ ، مالي أراكَ حزيناً ؟

وَسَأَلَهُ ٱلْكَلْب :

ـ هَلْ تَصَلَّبَتْ عِظامُ رِجْلَيْكَ بَعْدَ هذا ٱلْعُمْرِ الطَّويل ؟

وَقالَتْ لَهُ ٱلقِطَّةُ :

ـ ... وَهَلْ خانَتْكَ قِواكَ بَعْدَ أَنْ كَبِرَتْ سِنُّك ؟

فَتَأَثَّرَ الديكُ مِنْ كَلامِهِمْ وَقال :

ـ نَعَمْ يا إخْوَتي ، لَقَدْ أَصْبَحْتُ كَبيرَ





السِّنِّ ، فَقرَّرَ سَيِّدي ذَبْحي في صَباحِ ٱلْغَدِ ، فإنَّ لَحمي ، على ما يَظْهرُ ، لا يَزالُ لذيذاً بالرَّغْمِ مِنْ كِبَرِ سِنّي ... إنَّني أكْرَهُ الذَّبْحَ ، لِذَلِكَ هَرَبْتُ مِنْ مَزْرَعَتِهِ وَهِمتُ على وَجْهي في ٱلْحُقول .

فَقالَ لَهُ ٱلْحِمار :

ـــ تَعالَ مَعَنا ، فَقَد نَستَطيعُ ، نَحْنُ ٱلأَرْبَعَة ، أَنْ نَعْمَلَ عَمَلاً عظيماً .

* * *

سارَ ٱلأَرْبَعَةُ مَعاً في طَريقِ ٱلْحُرِّيَّةِ ، بَعيداً عَنِ ٱلْخَطَرِ ، حَتّى أَقبَلَ ٱللَّيلُ ، فَأَحَسُّوا بِلَذْعَةِ ٱلْبَرْدِ تَسْري في أَجسادِهِمْ ، فَتَوَقَّفوا عَنِ ٱلْمَسيرِ ، وَقالَ ٱلْحِمارُ :

ـــ لا بُدَّ لَنا أَيُّها ٱلإِخوانُ مِن مَلْجَأٍ يَقينا ٱلْبَرْدَ ٱلْقارِس .



وَعلى ٱلْفوْرِ قفزَ الدّيكُ إلى شَجرَةٍ عالِيَةٍ ، وَأَخذَ يَنْظُرُ حوالَيْهِ حَتّى عَثَرَ على ضَوْءٍ ضَئيلٍ يَتَراءى مِنْ أَحَدِ ٱلْبيوتِ ٱلْمُنْعَزِلَةِ ، فَقرَّروا الذَّهابَ إِلَيْهِ وَساروا بِخُطىً سَريعَةٍ يَتَقَدَّمُهُمُ ٱلْحِمار .

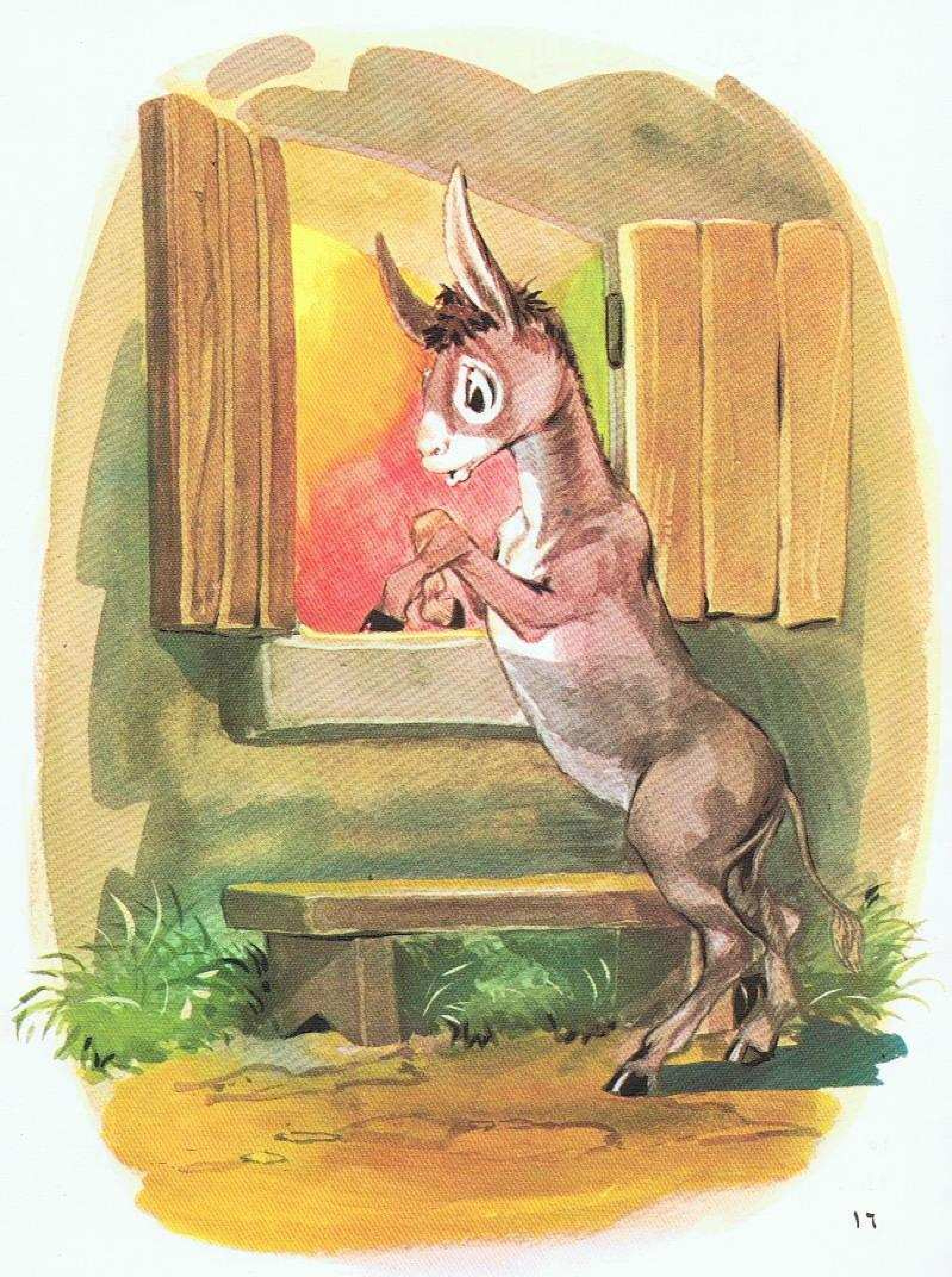
وَلَمّا وَصَلوا وَجَدوا بَيْتاً جَميلاً تَنْبَعِثُ مِنْهُ ٱلأَلْحانُ ٱلْعَذْبَةُ وَالضَّحِكاتُ ٱلعالِيَة . فَأَشارَ عَلَيْهِمُ ٱلْحِمارُ قائِلاً :

ــ إِخْتَبِئوا وَراءَ إِحْدى ٱلأَشْجارِ حَتّى أَسْتَطْلِعَ لَكُمُ ٱلأمر .

ثُم تَسَلَّلَ بِهُدوءٍ نَحْوَ النّافِذَةِ وَٱرْتَقى إِلَيْها بِقَدَمَيْهِ ٱلأَمامِيَّتَيْنِ ، ثُمَّ عادَ إلى رِفاقِهِ وَقالَ لَهُم :

ــ لَقَدْ أَصْغَيْتُ جَيِّداً ، فَعَلِمْتُ أَنَّ سُكّانَ هذا ٱلْبَيْتِ هُمْ جَماعَةٌ مِنَ اللُّصوصِ ، وَقَدْ أَوْلَموا وَليمَةً حَوَتْ مِنَ ٱلْمَآكِلِ ما لَذَّ وَطابَ ، وَإِنّي





أرى أنْ نُجبِرَهُمْ على مُغادرَةِ ٱلمنْزِلِ لِنحْتَلَّ مكانَهُمْ.

فَقالَ ٱلْكَلْبُ:

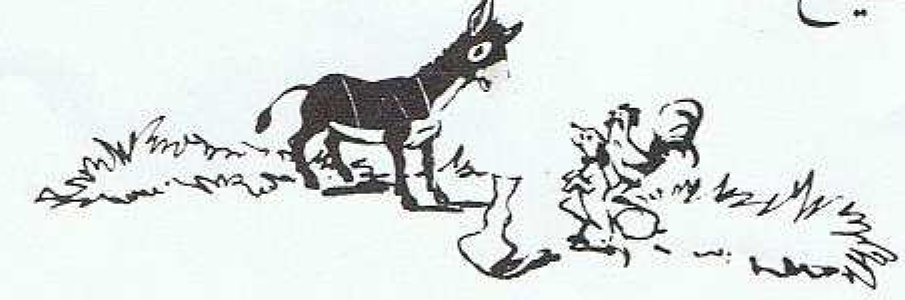
ـ وَكَيفَ نَصنَعُ؟ إنَّ أنيابي لَمْ تَعُدْ مِنَ ٱلقُوَّةِ بِحَيْثُ يُعتَمَدُ عَلَيْها في مِثْلِ هذهِ ٱلأُمور.

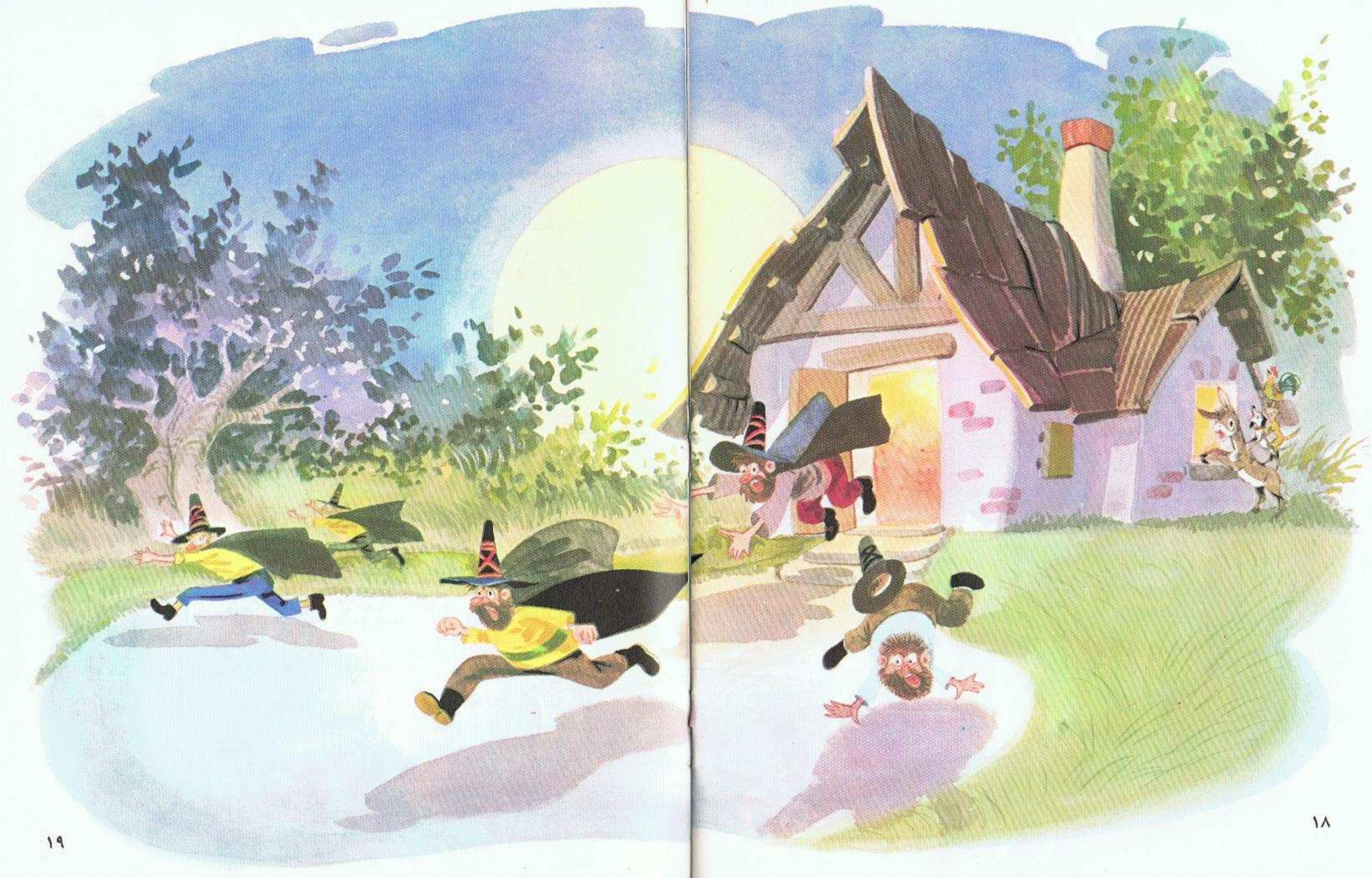
فَأَجابَهُ ٱلحِمار:

ـ عِنْدي فِكْرَةٌ جميلَة ... أَصْغوا إِلَيَّ ...

وَراحَ ٱلحِمارُ يَرْوي لَهُمْ تفاصيلَ خُطَّتِهِ بَيْنَما كانوا يَتَّجِهونَ جميعاً نَحْوَ النّافِذَة.

أَثْبَتَ ٱلحِمارُ حوافِرَهُ في ٱلارْضِ جَيِّداً قُرْبَ النّافِذَةِ، وَقَفَزَ ٱلْكَلْبُ فوقَ ظَهرِهِ، وَقفزَتِ ٱلهِرَّةُ فوقَ ظَهرِ ٱلْكَلْبِ، وَقفزَ الدّيكُ فَوقَ ظَهرِ ٱلهِرَّةِ، ثُمَّ ... واحِدٌ، اثْنانِ، ثَلاثَة .. وَأَخذوا جميعاً في النَّهيقِ، وَالنُّباحِ وَٱلْمُواءِ وَالصِّياح.





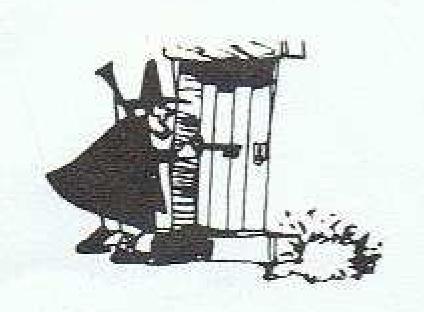
— هي هـــان ، عوعو عاو ، مياو مياو ، كيكي كيكي .

فَتَألَّفَ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ جَوْقَةٌ موسيقِيَّةٌ عَجيبَة .

وَلَمَّا سَمِعَ اللُّصوصُ هـــذا الصُّراخَ ٱلْعَجيب ظَنُّوا أَنَّ غولاً مُخيفاً يُهاجِمُهُمْ مِنَ النَّافِذَةِ فَأَسْرَعوا بِالْهَرَبِ وَهُم يَرْتَجِفونَ مِنَ ٱلْخَوْف .

عِنْدَما رَأى ٱلْحَيَواناتُ أَنَّ اللُّصوصَ ٱبْتَعَدوا ، دَخلوا ٱلْمَنْزِلَ ، وَهَجَموا على الطَّعامِ يأْكُلونَهُ بِنَهَمٍ وَلَذَّةٍ ، ثُمَّ أَطْفَأوا النُّورَ وَاسْتَسْلَموا للنَّوْم .

نامَ ٱلْحِمارُ على طَرّاحَةٍ مِنَ ٱلْقَشِّ ، وَاخْتارَ ٱلْكَلْبُ حَصيراً وَراءَ ٱلْبابِ فَنامَ عَلَيْهِ ، وَاخْتارَتِ ٱلْهِرَّةُ مَكاناً لَها قُرْبَ ٱلْمَوْقِدِ ، وَقَفَزَ الدّيكُ وَنامَ على مُتَّكَإِ أَحَدِ ٱلْمَقاعِد .



بَعْدَ قليلٍ ، تَشجَّعَ أَحـدُ اللُّصوصِ وَتسَلَّلَ إلى مَنْزِلِهِ ٱلْغارِقِ في الظَّـلامِ ثُمَّ فَتَحَ ٱلْبابَ بِهُدوءٍ وَتناوَلَ شَمْعَةً ، وَلَمّا هَمَّ بالاَّقْترابِ مِنَ ٱلْمَوْقِدِ لِإِشْعالِها قفزَتِ ٱلْهِرَّةُ وَخَمَشَتْهُ في وَجْهِهِ خَمْشَةً آلَمَتْهُ وَأَسالَتْ مِنْـهُ الدَّمَ فَتَراجَعَ إلى ٱلْوَراءِ مَذْعوراً فَتَلَقَّاهُ ٱلْكَلْبُ بِعَضَّةٍ في فَخِـذِهِ فَصَرَخَ مِنَ ٱلأَلَمِ ، وَحاوَلَ ٱلْهَرَبَ مِنَ ٱلْبابِ فَلَبَطَهُ ٱلْحِمارُ لَبْطَةً قَوِيَّـةً طَرَحَتْهُ عَلى ٱلأَرْضِ. وَلَمّا هَمَّ بِالقِيـامِ كانَ الدّيكُ فَوْقَهُ يَنْقُرُهُ بِرَأْسِهِ نَقْرَةً ، وَجَدَ ٱللِّصُّ نَفْسَهُ ، بَعْدَها ، خارِجَ ٱلْمَنْزِلِ يُهَرْوِلُ مُبْتَعِداً مَذْعوراً إلى حَيْثُ يَنْتَظِرُهُ رِفاقُه .

قالَ لَهُمْ وَهُوَ يَبْكي مِنْ شِدَّةِ ٱلأَلَمِ :

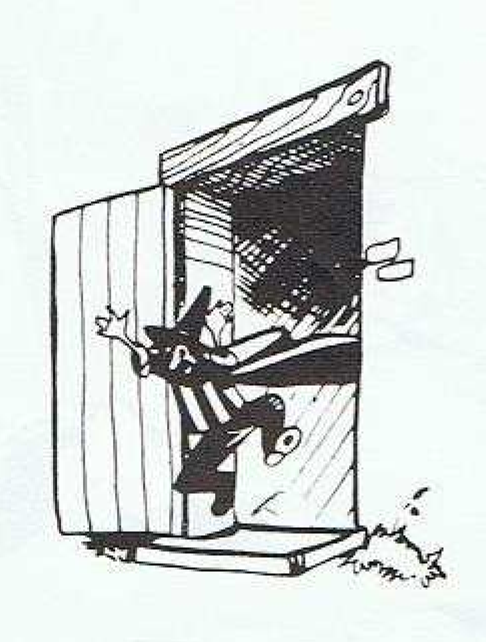
ــ يا لَلْمُصيبَةِ الَّتي وَقَعْنا فيها ، إنَّ مَنْزِلَنا سَكَنَتْهُ جَماعَةٌ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْعَفاريتِ ، فَما كِدْتُ

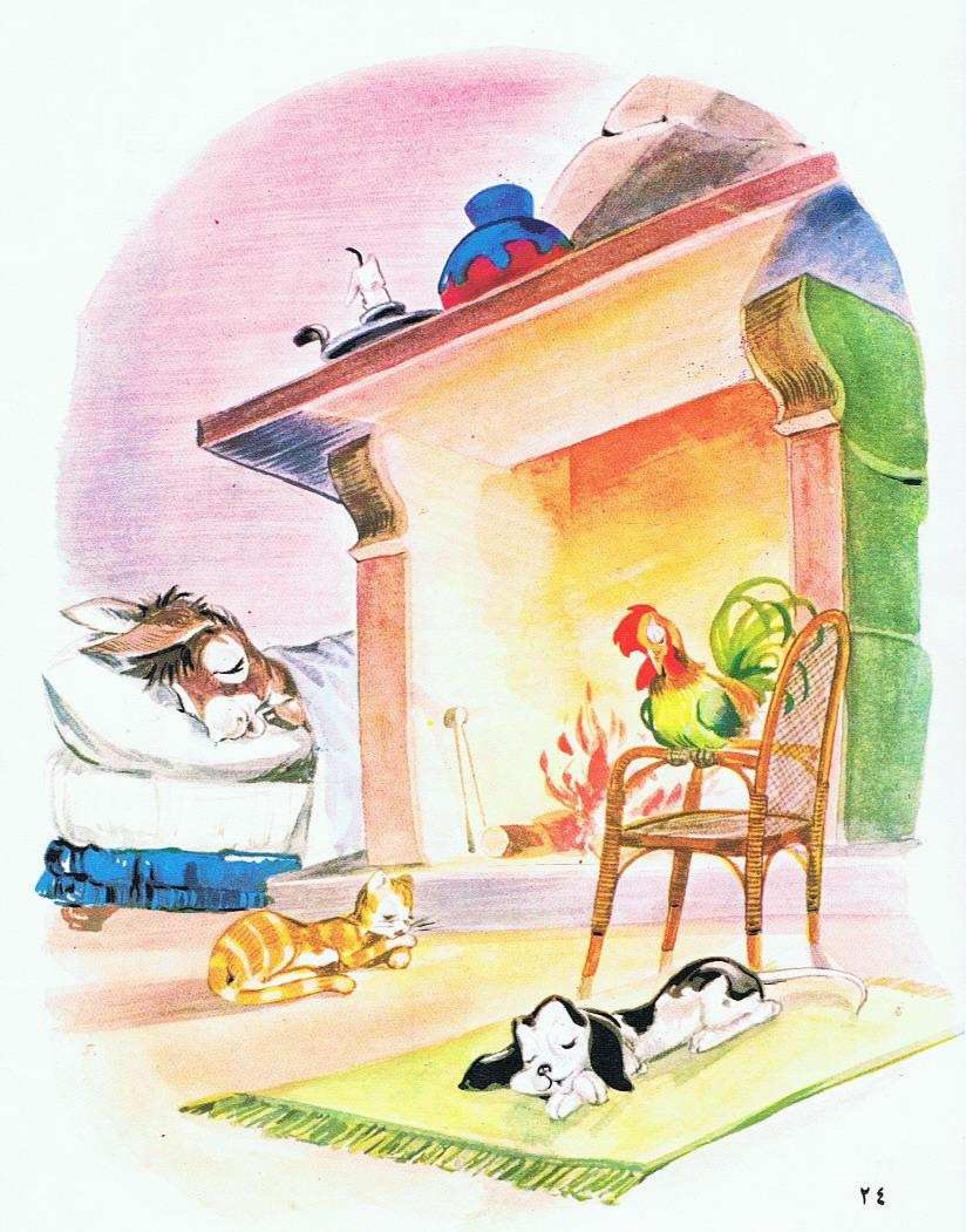


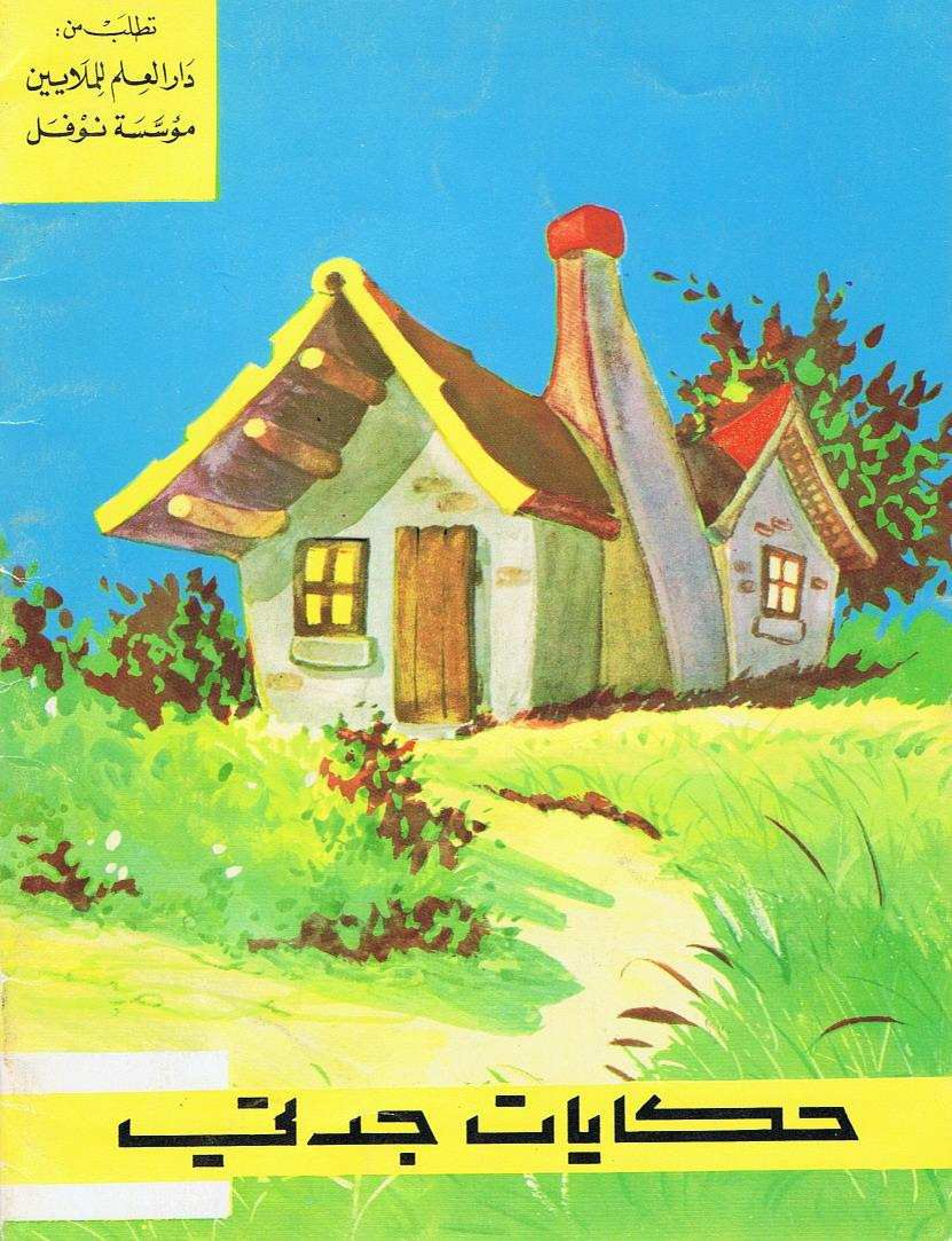


أَدْخلُ حتّى وَخزَني عِفريتٌ في وَجْهي وَخْزَةً أليمةً ،
ثُمَّ تناوَلَني الثّاني وَعصرَ فَخذي بِكُلّابَةٍ حادَّةٍ ،
وَأهوى عليَّ ثالِثٌ بِمِطْرَقةٍ كادَتْ تَكْسِرُ أَضْلاعي،
وَشَكَّني رابِعٌ في رَأْسي شَكَّةً كادَتْ تَثْقُبُ
جُمْجُمَتي ... فَإلى ٱلْهَرَبِ يا إِخْوَتي ، إلى ٱلْهَرَبِ ،
وَإِلى النَّجاةِ بِنُفوسِنا مِنَ ٱلْهَلاكِ ٱلْمُحَتَّمِ .

وَهكَذا عَمِلَ اللُّصوصُ بِنَصيحَةِ رَفيقِهِمْ ...
فَتَرَكوا مَنْزِلَهُمْ لِيَسْكُنَهُ ٱلْحِمارُ وَٱلْكَلْبُ وَٱلْهِرَّةُ
والدّيكُ ، وعاشوا فيهِ بِسَلامٍ وَطُمَأْنينَةٍ طولَ حَياتِهِمْ .






تطلب من:
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
حكايات جدتي